المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 - Electronic ISSN 2790-1254
العدد 18A2 2025 تشرين1
No. 18A2 2025 October

مظاهرُ التّماسكِ النّصّيّ في سورة(ق)، مقاربة في ضوء لسانيّات النّص

م.د. بسام إبراهيم علي
جامعة تكريت/ كلية التربية ـ طوز / قسم اللّغة العربيّة
bassam.i.ali@tu.edu.iq

المُلَخَّص:
يسعى هذا البحث إلى استكشاف آليات التماسك النّصي في سورة (ق)؛ في ضوء مفاهيم لسانيات النّص الحديثة، لا سيّما السّبك، والحُبك كما نظّر لهما هاليدي ورقية حسن، ومعايير النّصية كما عند دي بو جراند، إضافةً إلى البعد التداولي للإحالات كما عند فان دايك. وخلُص إلى ضمّ السورة قدرًا كبيرًا من الانسجام داخل النّص وخارجه تحدّدهُ مقومات السّياق المختلفة .

الكلماتُ المفتاحيّة : التّماسك ، سورة ، قاف ، اللّسانيات ، النّص .

Manifestations of Textual Cohesion in Surah Qaf : An Approach in Light of Text Linguistics

L.D. Bassam Ibrahim Ali
University of Tikrit / College of Education – Tuz / Department of Arabic Language:

Abstract:
This study seeks to explore the mechanisms of textual cohesion in Surah Qaf in light of modern text linguistics concepts, with particular emphasis on cohesion and coherence as theorized by Halliday and Hasan, as well as textuality standards proposed by de Beaugrande. It also draws upon the pragmatic dimension of reference as discussed by van Dijk. The study concludes that the surah exhibits a high degree of coherence, both within the text and beyond it, a coherence that is shaped and regulated by various contextual parameters.

Keywords: cohesion, Surah Qaf, linguistics, text, textuality.

المقدمة :
الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصّلاةُ والسّلامُ على نبيّه المصطفى الأمين، وبعدُ :
تُعَدُّ موضوعاتُ التّماسكِ النصيّ من المُرتكزات الأساسيّة في الدّراسات اللُّغويّة الحديثة، إذ تجاوزتْ حدودَ الجملةِ إلى فضاء النّص بوصفه وحدةً كليّةً مُتكاملة. وقد أسهم ظهورُ علمٍ عُرف بلسانيّات النّص في ترسيخ هذا التوجّه، إذ ينظر إلى النّص على أنّه حدثٌ تواصليٌّ مهيكل، تتآزر عناصره ضمن شبكةٍ من العلاقات والرّوابط التي تكفل انسجامه وترابطه. ويُعَدُّ القرآن الكريم من أسمى النماذج النّصيّة وأشدّها تماسكًا، الأمر الذي حفّز الباحث على استكشاف جانبٍ من هذا الإعجاز النّصي من خلال دراسة سورة (ق)، فجاء عنوان البحث:« **مظاهرُ التّماسكِ النّصّيّ في سورة(ق) مقاربة في ضوء لسانيّات النّص**».
وانطلاقًا من استقراء مضامين السّورة، وما استُكشف فيها من مكنون، وتلاحم لفظي ومعنوي، انبرى لأداء التماسك النّصي أمران، هما: السّبك والحُبك؛ لذا ارتأى الباحث تقسيم الدِّراسة إلى مقدمةٍ، وتمهيدٍ، ومبحثين. خُصِّص التّمهيد لعرض التعريف بالسورة، وبيان مفهوم التّماسك النّصي لُغةً واصطلاحًا، في حين تناول المبحث الأوّل السَّبْك في سورة (ق) مع مدخلٍ نظري، ثُمّ عرض وسائل السّبك، ولا سيّما الإحالة وأنواعها . أمّا المبحث الثاني فقد خُصِّص لمبحث الحُبُك في السورة، متناولًا مظاهره من قبيل التغريض والمناسبة

واختُتم البحث بعرض أهم النتائج، ثم إيراد قائمة المصادر والمراجع . و أرجو من الله تعالى أنْ أكون قد وفّقتُ، وإن فاتني شيء فحسبي أنّي اجتهدتُ، وأسأله ألّا يحرمني أجر المجتهدين ﴿ والحمدُ للهِ ربِّ العالمين ﴾ .

التَّمهيدُ :

أوّلًا: مفهوم التّماسك النّصّي

1ــ التماسك لُغةً

تُحيل المعاجم العربيّة مفهوم " التماسك " إلى الجذر (م س ك)، الذي تدور دِلالاتهُ حول معاني الاحتباس، والاعتدال، والارتباط . فقد ورد في الأصل: تماسك، وتمسَّكَ، واستمسك، ومَسَّكَ تمسيكًا، كلّه بمعنى: احتبس[1]. قال الجوهري: « [مسك] أمسكت الشيء، وتمسّكتُ به، واستمسكت به، كلّه بمعنى اعتصمت به. وكذلك مَسَّكْتُ به تمسيكًا(...)، وأمسكتُ عن الكلام، أي: سكتُّ. وما تماسك أنْ قال ذلك، أي: ما تمالك . والمسيك: البخيل»[2]. ويتّضح من خلال هذا النّص أنّ دِلالة الجذر (مَسَكَ) [3]. تدور في مجملها حول معنى الحبس والتقييد، إذ إنّ معاني الاعتصام، والسكوت، والبخل، جميعها تفيد المنع لا الإطلاق وهوما يُمهّد لفهمه في الاصطلاح بوصفه انتظامًا يتلاحم به النّص.

2ــ التّماسكُ اصطلاحًا :

ليس من اليسير وضعُ تعريفٍ جامعٍ مانعٍ للتماسك النّصي؛ وذلك لارتباطه بطبيعة النّص الذي يُعدُّ محورَ الدّراسة، فضلًا عن تعدّد الحقول المعرفيّة التي يتقاطع معها مفهوم النّص، الأمر الذي يجعل تحديده بدقّة أمرًا بالغ الصعوبة. ومع ذلك، فإنّ مجمل التعريفات تصبّ في إطارٍ دلاليٍّ واحد، إذ يتمثّل في إبراز الترابط القائم بين عناصر النص ومكوّناته .

ويُعَدُّ التماسك النّصي ووسائله من القضايا المركزيّة التي عالجها نحوُ النَّص ؛ لكونه معيارًا من المعايير التي تتكامل فيما بينها لتحقيق نصيّة النّص. وقد أشار إلى ذلك (دي بوجراند) عند حديثه عن معايير النّصيّة، إذ خصّ معيارين يرتبطان ارتباطًا وثيقًا بالنّص، بقوله: « ومن هذه المعايير السّبعة معياران تبدو لهما صلة وثيقة بالنَّص (السّبك والالتحام)»[1]. وينقسم التّماسك إلى قسمينِ رئيسينِ : السّبك والحُبك. وقد تناول كلٌّ من هاليدي ورقية حسن هذا المصطلح، فعرّفاه بقولِهما: «هو علاقة معنوية بين عنصر وعنصر آخر يكون ضروريًا لتفسير هذا النّص، هذا العنصر يوجد في النص غير أنّهُ لا يمكن تحديد مكانه إلّا عن طريق هذه العلاقة التماسكيّة»[2]. ويتبيّن من هذا التّعريف أنّ التّماسك يقوم على علاقاتٍ دِلاليّة تشمل مستويات النّص المختلفة ، وتميّز بين ما هو نصّي وما هو غير نصّي، في إطار تفاعلٍ دلاليٍّ متبادل. ومن ثَمّ، يمكن النظر إلى التماسك بوصفه: « العلاقات أو الأدوات الشّكليّة والدِّلاليّة التي تسهم في الرّبط بين عناصر النّص الداخليّة، وبين النّص والبيئة من ناحية أخرى »[3].

وعليه يتّضح أنّ التماسك النّصي لا يتحقّق إلّا من خلال تضافر جملةٍ من العَلاقات الدِّلاليّة والشّكليّة، في تفاعلٍ وثيقٍ مع السّياق بنوعيه اللّغوي وغير اللُّغوي؛ إذ« ينشأ التّماسك بتظافر العلاقات التماسكيّة الدّلالية والشّكلية مع السّياق في تحقيق التّماسك النّصي للنّص فالنّصُ يحتوي على علاقات داخليّة وأخرى خارجيّة، مرتبطة بالسّياق غير اللُّغوي، وهذه وتلك تحققان التّماسك النّصي»[1] .

وبناءً على ذلك، فإنّ النَّصّ يخضع لتداخل علاقتين متكاملتين: داخلية تتصل ببنيته اللُّغوية، وخارجية تتعلّق بسياقه التّداولي، ومن خلالهما يتحقّق انسجامه الكلي.

- **مكونات النّص :**

---

[1] ينظر : تهذيب اللغة ، 86/10، والصحاح ، 1608/4، ومقاييس اللغة ، 320/5.
[2] الصحاح : 1608/4.
[3] ينظر: مقاييس اللغة ، 320/5.
[1] النّص والخِطاب الإجراء : 106.
[2] نحو النّص : 90.
[3] علم اللُّغة النّصي بين النظرية والتطبيق على السّور المكية : 95/1.
[1] علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق : 107/1.

يُقصد بمكوّنات النّص « العناصر التي يتأسس عليها النّص » [2]. وهي التي تُسهم في بنائه وتماسكه على المستويات المختلفة. وفي هذا السّياق، يُعَدّ كلٌّ من (السَّبك) و(الحُبك) أداتين أساسيتين في تحقيق ترابط النص وتكوينه، كما ذهب إلى ذلك (دي بو جراند، ودريسلر)، بقولهما: « السّبك ، وهو معيار التّرابط الرَّصفي، ثُمَّ الالتحام وهو معيار الترابط المفهومي »[3].

وقد سلك عددٌ من الباحثين مسالك مختلفة في تسمية هذين البعدين وتقسيمهما ؛ إذ قسّم الدكتور سعد البحيري التّماسك إلى قسمين، معتمدًا مصطلحي : الترابط النّحوي، والتّماسك الدِّلالي، بقوله : « التّرابط مُصطلح نحوي، أمّا التّماسك فمصطلح دِلالي»[4]. في حين يرى الدكتور سعد مصلوح أنّ مصطلح السّبك هو الأقرب إلى المفهوم المراد والأكثر شيوعًا، إذ يقول: « أنّ السبك أقرب شيء إلى المفهوم المراد وأكثر شيوعًا في أدبيات النقد القديم » [5].

أمّا محمد خطّابي فقد استعمل مصطلح الاتساق للدّلالة على التماسك، وقسّمه إلى اتساق نحوي، واتساق معجمي، إذ يقول : « إنّ مفهوم الاتساق مفهوم دلالي، إنّه يحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النّص، والتي تحدده كنص، ويتجسد النّص في النحو وفي المفردات وليس في الدِّلالة فحسب، ومن ثم يمكن الحديث عن الاتساق النّحوي والاتّساق المعجمي »[1]. ويُراد بالاتساق هنا – في هذا السياق– الاتساق المعجمي دون النّحوي أو الصوتي .

كما أطلق بعض الباحثين تسميات أخرى على هذا المفهوم؛ فقد سمّاه الأزهر الزناد بالانسجام [2] ، في حين أطلقت عليه إلهام أبو غزالة مصطلح التضامن، إلى جانب مصطلحات أخرى متداولة في الدّرس النّصي [3].

وخلاصة ذلك أنّ التّماسك النّصي يمكن تقسيمه إلى قسمين رئيسين:

الأوّل: التّماسك اللّفظي (السَّبك)

ويُعرف كذلك بالتّضام عند بعض الباحثين، ويُعنى بالوسائل اللُّغوية الظاهرة التي تُسهم في تحقيق الاستمرارية على مستوى سطح النّص. وتتعدّد أدواته، ومن أبرزها: الإحالة، والربط بالأدوات، والعلاقات النّحوية، والحذف، والتكرار، وغيرها، وهو مستوى تحكمه القواعد النّحويّة . وقد لخّص (دافيد كريستال) هذه الأدوات في موسوعته تحت عنوان «أدوات التماسك»، فذكر منها: العطف، والإبدال، والحذف، والتكرار، والأدوات المعجمية [4].

الثاني: التّماسك الدِّلالي (الحُبك)

ويُعرّف _ أيضًا_ بالتقارن أو الانسجام، ويُعَدّ من أهم مستويات التّماسك؛ لكونه يكشف عن الوحدة الدِّلالية للنصّ، ويُبرز استمرارية المعاني والعلاقات بين مكوّناته.

وينقسم هذا النّوع إلى قسمين [1]:

1_ تماسك دلالي طولي، يظهر من خلال العلاقات القائمة بين معاني الجمل.

2_ تماسك دلالي كلي شامل، ينبثق من البنية الدلالية الكبرى للنص، بما في ذلك موضوعه وعنوانه .

وسيتمّ تناول هذين النوعين بشيءٍ من التفصيل في المبحثين الآتيين، بما يُسهم في الكشف عن مظاهر التماسك النصي في سورة (ق)، وفق ما تقتضيه منهجية البحث.

ثانياً: ما يتعلّق بسورة (ق)

---

[2] أصول تحليل الخطاب, محمد الشاوش: 87/1.
[3] بلاغة الخطاب، وعلم النص : 8.
[4] علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات : 320.
[5] نحو أجرومية للنص الشعري : 116.
[1] لسانيات النّص مدخل إلى انسجام الخطاب : 15.
[2] ينظر: نسيج النص ، 15 .
[3] ينظر: مدخل إلى علم لغة النص ، 11.
[4] ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، 118/1.
[1] ينظر: النص والخطاب والاتصال ، 93.

1. التعريف بسورة (ق):

تُعدّ سورة (ق) السورة الخمسين في ترتيب سور القرآن الكريم، وهي من السّور المكيّة؛ أي التي نزلت قبل الهجرة النبويّة إلى المدينة المنوّرة[2]. يبلغ عدد آياتها خمساً وأربعين آية، وتُستهلّ بقسمٍ بحرف القاف والقرآن المجيد، وتُختتم بأمرٍ موجّهٍ إلى النبي ﷺ بتذكير من يخشى وعيد الله تعالى بالقرآن الكريم[3].

2. موضوعات سورة (ق):

تتناول سورة (ق) جملةً من الموضوعات العقديّة الكبرى، وفي مقدّمتها قضية البعث بعد الموت؛ إذ تُبرز استغراب المشركين من بعثة النبي ﷺ منهم، وإنذاره لهم بحقيقة البعث. كما تعرض السورة مواقف الأمم السابقة كقوم نوحٍ وعادٍ وتبّع وأصحاب الأيكة، مبيّنةً تكذيبهم للرسل وما ترتّب عليه من استحقاقهم للعذاب[4].

3. سبب نزول سورة (ق) [1]:

ورد في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ**﴾، [ق: 38] عن قتادة أن اليهود قالوا إن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام، أولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة، وأنّه تعب فاستراح يوم السبت وسمَّوه يوم الراحة فكذبهم تعالى فيما قالوا فنزلت .

المبحث الأوّل: السَّبك في سورة (ق)

مدخل:

تُعدّ الإحالة أبرز عناصر التماسك النّصي التي تُسهم في الرّبط بين أجزاء النّص والنّسج بين وحداته ، وتستخدم فيها العناصر الإحالية والإشاريّة ، والتّماسك النّصي لا يمكن أنْ يتحقق إلّا إذا توافر هناك تماسك نحوي، ودلالي بين العناصر اللّغوية المختلفة في النّص . ويؤدي استخدام الإحالة والرّوابط دورًا كبيرًا في إنتاج نص متماسك ذي بنية منسجمة بالشكل الذي يرتضيه المعتنون بميدان علم النّص ، وهذه الرّوابط لا يمكن الاستغناء عنها؛ لأنّ إسقاطها يؤدي إلى تفكيك النّص وتباعد جمله، ووحداته، ومكوناته، ولا تتحقق السّلامة النّحويّة[2] .

إنّ أهميّة الإحالة تتمركز في كونها تقوم بمهمة سبك النّص ، وتتجلى هذه في قيامها بعملية الرّبط بينها وبين ما تُحيل إليه سواء أكان متقدمًا أو متأخرًا ، مذكورًا أو مُقدّرًا في سياق الكلام . وكلُّ هذا يُعدّ من قبيل الإحالة الداخليّة .

وأمّا الإحالة الخارجيّة فقد تمثلتْ بالمخاطب والمتكلم، و السّياق المحيط بالنّص، « وكلّ ما يسهم في تفسير النّص دون أنْ يكون مذكورًا في تركيبه ، فهو من الإحالة الخارجيّة ، وكلتا الإحالتين تتعاونان في إظهار البنية الكلية أكثر ترابطًا وانسجامًا ، ومن خلال تلك النظرة إلى عناصر الإحالة يمكننا جعل كل ما من شأنه تفسير لسابق أو توضيح للاحق في المتتاليات النّصيّة عنصرًا من عناصر الإحالة داخل النّص» [1].

ويرى الدّكتور أحمد عفيفي أنّ أدوات الاتّساق تُعدّ وسائل للإحالة، تُسهم في تماسك النّص واتّساق أجزائه، مثل : ضمائر المتكلم والمخاطب ؛ وضمائر الغيبة وهي الأقوى في جعل النّص أكثر اتّساقًا وتماسًا [2].

وكذلك الحذف يؤدي دورًا في تماسك النّص، إذ أطلق عليه اللُّغويونَ العربُ « " الاحتباك "، وهو أنْ يحذف من الأوّل ما ثبت نظيره في الثاني، ومن الثاني ما ثبت نظيره في الأوّل»[3]. وواضح أنَّ تسميته

---

(2) ينظر: الاتقان في علوم القرآن ، 28/1.
(3) ينظر: في ضلال القرآن ، 6/ 3367.
(4) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، 5/ 139.
(1) صفوة التّفاسير : 228/3.
(2) ينظر: البينية النّصيّة من منظوم علم لغة النّص ، 25.
(1) علم لغة النص والأسلوب : .4.
(2) نحو النص : 105.
(3) الاتقان في علوم القرآن :240/3.

مأخوذة من معناه : الشدّ، والإحكام . ويقول محمد خطابي: « إنّ كلًّا من هاليدي ورقية حسن قد ذهبا إلى أنّ الحذف علاقة داخل النّص، وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض داخل النّص السابق »[4]. وبه يتحقق رصّ النّص وتماسكه .
ثمّ إنّ التكرار له دور رياديٌّ في ايجاد التماسك النّصي _ سنوضحه في موضعه إن شاء الله _ وهو يكون إمّا بتكرار اللّفظ الذي سبق استخدامه و إمّا بتكرار جزئي، أو مرداف في الدّلالة، أو مرادف له في الْجرس[5].

وإذا كانت الإحالة تُحقّق التّماسك النّصي _ كما مرّ_ فينبغي أنْ نبيّن ما هي :

الإحالة :
عرّفها (دي بو جراند) بأنّها تلك « العلاقات بين العبارات من جهة وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات »[1]. بمعنى أنّ الإحالة تمثّل العلاقات بين الجمل وما تشير إليه، أي: إلى ما هو داخلي، وما هو خارجي.
ويقول (جون لا ينز) في سياق حديثه عن المفهوم التقليدي للإحالة : « إنّ العلاقات القائمة بين الأسماء والمسميات هي علاقة إحالة، فالأسماء تحيل إلى المسميات »[2].
وذهب آخرون إلى « أنّ الإحالة هي العلاقة القائمة بين عنصر لُغوي يطلق عليه عنصر علاقة، وضمائر يطلق عليه صيغ إحالة وتقوم المكونات الاسمية بوظيفة عناصر العلاقة أو المفسر أو العائد إليه »[3].

وعليه فالإحالة تمثل: « مجموعة من العناصر التي تحتاج عند تأويلها إلى مرجع ؛ كالضمائر، وأسماء الإشارة، وأدوات المقارنة »[4].

أنواع الإحالة :
الإحالة تنقسم على نوعين رئيسين : الإحالة المقامية ، والإحالة النّصيّة ، وتتفرع الثانية إلى إحالة قبلية وإحالة بعدية[5] .

وقد حددتُ أنواعَ الإحالة في هذا المخطط :

الإحالة

المقاميّةالنّصيّة
إحالة إلى خارج النّص — إحالة إلى داخل النّص
وتقسم هذه الإحالة إلى سابقة و لاحقة

(4) لسانيات النص : 21.
(5) ينظر: نحو النص ، 109.
(1) الإحالة في نحو النص : 17. لأحمد عفيفي .
(2) القرائن اللائقية وأثرها في السياق :17.
(3) نحو نظرية عربية للإحالة الضميرية (دراسة تأصيلية) :2.
(4) نحو النص نقد النظرية : 28.
(5) ينظر: لسانيات النص : 17، لمحمد خطابي .

بهذا الرّسم يتضح لنا أنّ الإحالة قسمان : خارج النّص، وداخل النّص، وعلى الرغم من أنّ الاختلاف بينهما إلا أنّهما يشتركان في وجود عنصر محال إليه في مكان آخر .

1_ **الإحالة المقامية** : « وهي إحالة عنصر لُغوي إحالي على عنصر لغوي إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي ، كأن يحيل ضمير المتكلم المفرد ذات صاحبه المتكلم حيث يرتبط عنصر لغوي إحالي بعنصر إشاري غير لغوي هو ذات المتكلم ويمكن أن يشير عنصر لغوي إلى المقام بنفسه فهو يمكن أن يحيلَ عليه المتكلم »[1]. وهذه تحيل إلى العالم الخارجي، وتتمثل بضمائر الخطاب والتكلم .

2_ **الإحالة النّصيّة:** وهي داخلية تُحيل إلى النّص وتتمثل بالضمائر الغيبية، وأسماء الإشارة، وأدوات المقارنة ، وتنقسم على قسمين :

أ_ **إحالة قبلية :** وهي تعود على عنصر سبق ذكره والتلفظ به، وهي أكثر الأنواع في الكلام .
ب_ **إحالة بعدية :** وهي تعود إلى عنصر مذكور بعده ولاحق عليها .
وممّا ورد في سور (ق) من هذه الوسائل ما يأتي :

1ـ الضمائر :
تعدُّ الضّمائر أهمَ وسيلةٍ من وسائل الاتّساق الإحاليّة ، لهذا أسهمت الدّراسات النصية في تناولها، وحرصتْ على إبراز دورها في تماسك النّص، فهي: « أشهر نوع من الكنائية »[1]، وتنقسم على ضمائر وجودية: (أنا ـ أنت ـ نحن ـ هو ـ هم ـ هُنّ)، وضمائر مُلكيّة، مثل : (كتابي ـ كتابك ـ كتابنا)[2].

وتتجلّى في سورة (ق) إحالاتٌ ضميريّة متعدّدة العائد كما في قوله تعالى: ﴿ **بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ** ﴾ [ق: 2]. وتتمثّل هذه الضمائر في: واو الجماعة في «عجبوا»، والهاء في «جاءهم»، و«منهم». ويعود ضمير الواو في «عجبوا» إلى الكافرين، وهو من قبيل الإحالة النصيّة البعديّة التي لا يكثر ورودها بهذا الشكل في سنن كلام العرب، الأمر الذي يدفع القارئ إلى البحث في أمرين أساسيين: تعيين مرجع الضمير، وبيان الغاية البلاغيّة من هذا الأسلوب غير المألوف.

إنّ ضمير «عجبوا» يعود إلى مرجع احتمالي؛ لذا اختلف البيانيون في عودته أهو إحالة قبلية لمتقدّمٍ أم لمتأخّرٍ؟ " جمهور المتأوّلين هو لجميع الناس مؤمنهم وكافرهم؛ لأنّ كلّ مفطورٍ عجب من بعثة بشر رسولَ الله "[3]. غير أنّ السياق كفيل بتحديده، إذ يرد ما يفسّره لاحقًا في قوله: «فقال الكافرون». وهو رأي ابن عاشور[4]. فحسب الرأي الأوّل إحالة قبلية، وفي ضوء الثاني بعديّة ، ويرجع البقاعي أنّ هذا النمط من الإحالة يفيد أنّ ما يَرِدُ بعد الضمير يحدّد مرجعه، " فيه إشارة إلى أنّ كل ما يُذكر خارجًا عن سنن الاستقامة يُنصرف إليهم"[1]، أي: إلى الكافرين. ولم يقتصر ابن عاشور على ذلك، بل ذهب إلى إرجاع ضمير الهاء في «منهم» إلى المرجع نفسه الذي تعود إليه واو «عجبوا»، أي: الكافرين من بني البشر. غير أنّ هذا التوجيه يبدو غير منسجم؛ لأنّ «المنذر» لا يكون كافرًا، بل هو رسول مؤمن بربّه، الأمر الذي يقتضي توسيع دائرة الإحالة لتشمل بني الإنسان عمومًا، بوصفهم المرجع الخارجي المناسب لهذا الضمير. وما يؤيد هذا قالوا: " هذا " في الآية يعود إلى نفس مجيء البشر [2].

---

[1] نسيج النص : 119.
[1] لسانيات النص : 15 ، محمد خطابي .
[2] نفسه : 19.
[3] المحرر الوجيز، 139/5 .
[4] ينظر: التحرير والتنوير ، 287/26.
[1] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : 18/ 403.
[2] ينظر: المحرر الوجيز، 139/5 .

ومن الضّمائر الوارد في قوله تعالى: «يقولون» الواو يُحيل_ بحسب تفسير محمد الطاهر بن عاشور _ إلى المشركين، وهم المخاطبون ابتداءً بهذه المواعظ والنُّذُر، وذلك بدءًا من قوله تعالى: « بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم». وتُعدّ هذه الإحالة الضميرية من الإحالات الداخلية، لأنها تشير إلى مرجع كامن داخل النص نفسه.

كما ترد في السورة مجموعة من الضمائر التي تعود على الكافرين، مثل: «متنا»، «كنا»، «كذبوا»، «ينظروا»، «فوقهم»، «كذبت قبلهم»، «بل هم في لبس»، و«لا تختصموا»، وكلّها تمثّل نماذج لإحالات ضميرية تعود إلى فئة محددة داخل السياق النصي. وكذلك نجد ضمائر أخرى تعود إلى الله سبحانه وتعالى، منها الضمير المستتر في الفعل « قال» بتقدير: «هو»، والضمير «التاء» في «قدّمتُ»، و«الياء» في «لديّ»، إضافة إلى ضمير المتكلم «أنا»، كما في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ * مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَما أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ** ﴾. [ق : 28–29] .

ويبيّن ابن عاشور أن هذا الخطاب يُمثّل حكايةً لكلامٍ يصدر يوم القيامة من جانب الله تعالى موجَّهًا إلى الفريقين: التابعين والمتبوعين، إذ قال ابن عاشور: « هَذَا حِكَايَةُ كَلَامٍ يَصْدُرُ يَوْمَئِذٍ مِنْ جَانِبِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْفَرِيقَيْنِ الَّذِي اتَّبَعُوا وَالَّذِينَ اتُّبِعُوا، فَالضَّمِيرُ عَائِدٌ عَلَى غَيْرِ مَذْكُورٍ فِي الْكَلَامِ يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ»[1].

كما يعود مرجع الضمير في السورة إلى النبي ﷺ، في نحو قوله تعالى: ﴿ **فَاصْبِرْ عَلى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ * وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبارَ السُّجُودِ** ﴾ [ق: 39–40]، إذ يتّجه الخطاب إليه مباشرةً، بما يفيد توجيهًا إلهيًّا بالصبر والتسبيح. وقد أشار ابن عاشور إلى هذا المعنى بقوله : « في الآية من التعريض بتسلية النبيء ﷺ ، أي: فاصبر على ما يقول المشركون من التكذيب بما أخبرتهم من البعث وبالرسالة »[2]، مبيّنًا أنّ الخطاب يتضمّن بُعدًا تسلويًّا يهدف إلى تثبيت النبي ﷺ في مواجهة تكذيب المشركين.

2ـــ أسماء الإشارة :

تُسهم أسماء الإشارة باتساق النّص؛ وذلك لأنّها تربطُ جزءاً سابقًا بجزءٍ لاحق، وهي وفقا لما يراه هاليدي ورقية حسن إمّا حسب الظرفية « الآن ـ غداً » وإمّا المكان « هنا ـ هناك ـــ ذلك» ، إذ تقوم بالرّبط القبلي والبعدي ، وقد تشير هذه الأسماء إلى جملٍ بأكملها أو متتالية من الجمل [3] .

وممّا ورد منها في السّورة في قوله تعالى: چ **أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ** چ [ق : 3]، وقوله : چ **ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ** چ [ق : 20]. « ذلك»، إذ أحال في الآيتين إلى قبلي بعيد مذكور في القرآن، وهو يوم البعث، الذي يجزي الله به المؤمنين بما عملوا ، ويحاسب به الكافرين [1]، كما في قوله:﴿ **وكم أهلكنا قبلهم من قرن(...) إنّ في ذلك لذكر**﴾ [ق من الآية : **38**].

و«هذا» في قوله تعالى : ﴿ **فقال الكافرونَ هذا شيءٌ عجيب**﴾ [ق :2].

إذ تحتمل الإشارة بـ"هذا " أنْ تكون إلى نفس مجيء البشر ، وتحتمل أنْ تكون إلى القول الذي يتضمنه الإنذار، وهو الخبر بالبعث، ويؤيد هذا القول ما يأتي بعده . وهو رأي الزمخشري، إذ قال : " وهذا إشارة إلى الرَّجع " [2].

ويرجع ابن عاشور التعبير بهذا _ رغم أنّ الأصل فيه الإشارة إلى القريب ، وأتى إشارة ليوم البعث، وهو بعيد_ إلى أنّه « خصّ هذا بالعناية بالذّكر؛ لأنّه أدخل عندهم في الاستبْعاد وأحق بالإنكار»[3]. وبهذا يحيل على مثبت بعيد المقام .

---

(1) التحرير والتنوير : 3014/26 .
(2) نفسه : 226/26 .
(3) لسانيات النص : 18، محمد خطابي .
(1) صفوة التفاسير : 227/3.
(2) الكشاف ، 383/4، وينظر: المحرر الوجيز 139/5 .

3ـــ **الاسم الموصول :** الاسم الموصول في التقعيد النّحوي، هو ما دلّ على معين بواسطة جملة تذكر بعده تسمى صلة الموصول، أو شبهها[4]، فهو بذلك جسرٌ يربط بين ضفتين ذكرهما لازم، والوصول بينهما حكر عليه، ثم هو عنصر تعويضي ينوب مناب المشار إليه، ويرتبط به تركيبًّا على جهة التبيين، وقد تكرر الاسم الموصول في هذه السورة ، نحو « ما» في قوله تعالى : ﴿ **وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيد** ﴾ [ق : 19]، وقوله: ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ** ﴾ [ق: 38].

إذ ربط « ما» الجملتين الذين بعدها ، (كنت ـ بينهما في ستة أيام)، وهما صلتا الموصول بما قبلها في المعنى، فتحقق التماسك النصي في الآيتين الكريمتين .
و« من » في قوله : ﴿ **مَن خشي الرّحمن بالغيبِ إنّ في ذلك لذكرى لمن كانَ له قلبٌ** ﴾ [ق :33] " ، وقوله : ﴿ **فذكر بالقرانِ من يَخاف وعيد**﴾ [ق: 45].
فالفعل « يخاف»، و« خَشي» صلة موصول « مَن» الذي يعود إليه الفاعل المستتر المقدر بـــ« هو» حقق تماسكًا واضحًا على مستوى الجملة بصورة خاصة، ثمّ في النّص بصورة عامة .

4ـ التكرار :

يعرّفُ التكرار بأنّه شكلٌ من أشكال الاتّساق المعجمي يتطلب إعادة ذكر عنصر معجمي أو مرادف له [1]، أو شبه مرادف أو عنصر مطلق أو اسم عام[2]، يؤدّي معناه، وهو ما يسهم في ترابط أجزاء النص وانسجامه . وقد ذهب بعض النّصيّين إلى إدراج التكرار ضمن آليات الإحالة، ومنهم الأزهر الزناد الذي أطلق عليه مصطلح «الإحالة التكرارية»، وعرّفه بأنّه: « الإحالة بالعودة، وتتمثل في تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كلّ جملة من جمل النّص قصد التأكيد»[3].

ومن أمثلة التّكرار الواردة في سورة (ق) قوله تعالى: «﴿ **فَأَلْقِيَاهُ فِي العذاب الشديد**﴾ ،أي: **فألقياه في نار جنهم، وكرر اللفظ (فَأَلْقِيَاهُ) للتوكيد**»[4]. ألقياه في قوله: ﴿ **أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ**﴾ [ق:24]. وهو تكرار ينهض بوظيفة دلالية تؤكّد الحدث وتُبرز شدّته في السّياق .

5ـ الوصف :

يؤدّي النّعت دورًا أساسيًّا في التّماسك النّصي؛ لأنّ به تتمُّ الفائدة الأساسية للجملة ، فقد لا يتمّ المعنى الأساسي للجملة إلّا بانضمام النّعت إليها ، وهو غرض دلاليٌّ، كما في قوله تعالى: ﴿ **فقال الكافرونَ هذا شيءٌ عجيب** ﴾[ق :2]، إذ لا يمكن أنْ يصحّ المعنى الأساسي _ هنا _ بغير النعت كما في القول « لا خيرَ في شيء ضارٍ» ، إذ لا يصحّ القول لا خير في شيءٍ من دون ذكر الصفة ضار .
وقد عبّر سيبويه عن تلك العلاقة القويّة بين النعت والمنعوت بقوله: « فأما النَّعت الذى جرى على المنعوت فقولك: مررتُ برجُلٍ ظَريفٍ قَبْلُ، فصار النعتُ مّجرورًا مثلَ المنعوت؛ لأنّهما كالاسم الواحدِ. وإنّما صارا كالاسم الواحد من قِبَلِ أنَّك لم تُرِدِ الواحدَ من الرجال الّذين كل واحدٍ منهم رجُلٌ، ولكنَّك أردت

---

(3) التحرير والتنوير : 279/26.
(4) النحو التطبيقي : 98.
(1) لسانيات النّص : 24.
(2) نحو النّص : 106، عفيفي
(3) لسانيات النّص : 24.
(4) صفوة التفاسير : 3/ 228، و فتح القدير : 91/5.

الواحدَ من الرجال الَّذين كلُّ واحد منهم رجُلٌ ظريفٌ، فهو نكرةٌ »[1]. مبيّنًا أنّ اقتران النعت بالمنعوت يجعلهما بمنزلة وحدة دلالية واحدة، إذ لا يُقصد مطلق الاسم، بل الاسم المقيّد بصفته.
كما أكّد ابن يعيش هذا المعنى بقوله: « إنّهما كالشّيء الواحد؛ لأنّ النعت يُخرج المنعوت من نوع إلى نوع أخصّ منه» [2]. أي: إنّ النّعت يخصّص دلالة المنعوت، وينقله من العموم إلى الخصوص.
وتتجلّى هذه العلاقة التماسكية في سورة (ق) في مواضع متعددة، منها قوله تعالى: ﴿**وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً** ﴾**[ق:11]**، و قوله: ﴿ **أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ** ﴾ **[ق: 3]**، وقوله: ﴿ **وَالنَّخْلَ باسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ** ﴾ **[ق :10]**، وقوله : ﴿ **تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ** ﴾ **[ق : 8]** .

فالصفات «ميتًا ــ بعيد ــ نضيد ــ منيب» في الآيات لو لم تذكر ما أفادت الآيات معنىً أو ما تخصص الكلام وبانَ ، فبذكرهنّ تمّ الكلام، وتشكلت بنية النّص، وتحقق التماسك النصي. فمثلًا: «عبد» في قوله:﴿عبد منيب﴾ نكرة أحدثتْ من الإبهام شيئًا مما دفع المتلقي إلى البحث سريعًا عن الصفة «منيب» لتخصيص هذه النكرة ، ومعرفة المقصود أيّ عبدٍ . فضلًا عن ذلك إنّنا نجد أنّ النعت طابق منعوته في الإعراب « جرًا»، وفي النوع « تذكيرًا»، وفي العدد «جمعًا»، وفي التنكير، فكلّ هذا جعل النّص فيه مُتماسكًا ومترابطًا ؛ لأنّ الصفة والموصوف شيء واحد بدليل لا يصح أنْ توصف النكرة بمعرفة ولا معرفة بنكرة [1].

6ـ الحذف :

الحذف كما يقول الزّركشي : « إسقاط جزء من الكلام ، أو كلّه لدليل »[2].ويصفه عبد القاهر الجرجاني بأنّه« باب دقيق المسلك لطيف المأخذ، عجيب الأمر، و الصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، و أتمّ ما تكون بيانًا إذا لم تبن»[3]. في حين يرى (دي بوجراند) الحذف هو« استبعاد العبارات السطحية، التي يمكن لمحتواها المفهومي أنْ يقوم في الذّهن، وأن يوسّع، وأنْ يعدل بوساطة العبارات الناقصة »[4]، وهو علاقة داخل النّص ، وغالبًا ما يوجد العنصر المفترض للنص السابق ، وهذا يعني أنّ الحذف علاقة قبليّة [5]. حفل القرآن الكريم بهذا المنزع البياني، و بلغ به أقصى مداه ؛ نظرًا لما له من إشراقات لطيفة، و دلالات ظريفة . ومن أشكال الحذف الواردة في سورة " ق" ما يأتي :

أوّلًا: حذف المفرد، ويشمل إسقاط عنصر نحوي مفرد مع دلالة السّياق عليه ومنه:
1ــ حذف الفاعل: كما في قوله تعالى:﴿ **قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ** ﴾ [ق28] ، إذ يُفهم الفاعل من السياق العام، وهو الله تعالى، مما يحقّق الاقتصاد اللغوي، ويُبقي على الترابط الدلالي دون تكرار .
2ــ حذف المفعول به : كما في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ**﴾ **[ق :43]**، إذ حُذف المفعول به لدلالة السياق عليه، والتقدير: " نحيي الموتى ونميت الأحياء"[1]. ويُسهم هذا الحذف في توسيع أفق الدِّلالة، وتعزيز الانسجام بين مكوّنات النّص .
3ــ حذف المنادى: كما في قوله تعالى : ﴿ **فاصبر على مَا يَقُولُونَ** ﴾[ق: 39]، إذ يُفهم المنادى (يا محمد ﷺ)[2]، من سياق الخطاب، مِمّا يربط الآية بسياقها العام عبر إحالة ضمنية .

---

(1) الكتاب : 422/1.
(2) شرح المفصل لابن يعيش :244/2.
(1) اللمع في العربية : 82.
(2) البرهان في علوم القرآن : 102/3.
(3) دلائل الإعجاز : 146.
(4) علم اللغة النصي : 215/2.
(5) لسانيات النص : 21_22.
(1) إعراب القرآن للنحاس : 234/4.
(2) ينظر: صفوة التفاسير ، 2/ 492.

ثانيًا: حذف الجملة ويتجلّى في إسقاط جملة كاملة يدلّ عليها السياق ومن ذلك:
1ــ حذف جواب القسم: في قوله تعالى: ﴿ **ق والقرآن المجيد** ﴾ [ق:1]، إذ لم يُذكر جواب القسم صراحة، ويُقدّر بما يدلّ على إثبات الرّسالة أو البعث. قال الشوكاني:« جَوَابُهُ مَحْذُوفٌ، كَأَنَّهُ قَالَ: ق والقرآن المجيد لتبعثن»[3]. ويؤدي هذا الحذف إلى إشراك المتلقي في بناء المعنى، مما يعمّق التماسك النصّي .
2ــ حذف الفعل في قوله تعالى : ﴿ **أإذا متنا وكنا ترابًا**﴾، [ق: 3] إذ حُذف لدلالة الكلام عليه، والتقدير: نبعث[4]. ويُسهم ذلك في ربط هذه الجملة بما قبلها ضمن شبكة دلالية واحدة .

واستنادًا إلى ما مرّ يمكن القول: إنّ الحذف يسهم في تحقيق التماسك النصّي من خلال ربط الأجزاء الظاهرة بالمضمرة، إذ يُجبر المتلقي على استحضار العنصر المحذوف اعتمادًا على القرائن السياقية، ممّا يعزّز الترابط بين الجمل ويمنع التفكك الدلالي. فالحذف لا يُحدث فراغًا في النّص، بل يُنشئ علاقة إحالية تربط بين ما قيل وما لم يُقل، وهو ما يُعدّ من أبرز آليات الاتساق النصّي .

المبحث الثاني: الحُبك في سورة (ق)

يتحقّقُ الحُبك النصّي عبر مجموعة من الآليات تسهم في بناء وحدة النّص وترابط أجزائه، وسأقتصر هنا على أبرز ما ورد في السورة، وهما: **التغريض، والمناسبة** .

أولًا: مفهوم التغريض

يرى كلٌّ من براون وجورج يول أن العنوان _ أو اسم السورة _ يمارس سلطة توجيهية في تشكيل رؤية المتلقي للنص، إذ يؤدي دورًا محوريًا في تأسيس علاقة التغريض، بوصفه مدخلًا أوليًّا لفهم الخطاب.
ويذهب محمد خطابي إلى أنّ مفهوم التغريض يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالبنية الداخلية للخطاب، إذ يقوم على العلاقة بين العنوان ومجمل مكوّنات النص، بحيث يغدو النّص مركزًا دلاليًّا تتجمع حوله أجزاؤه وفق منطق داخلي يحكم ترابطها [1].
وانطلاقًا من ذلك، يمكن القول إن التغريض يمثل آلية نصّية تتصل مباشرًا بموضوع الخطاب وعنوانه؛ إذ يُعدّ(تعبيرًا ممكّنًا [مكثّفًا] عن مضمون النّص)[2]، ويعمل على توجيه أفق التلقي. فالعنوان، في هذا السياق، لا يقتصر على كونه عنصرًا شكليًا، بل مدخلًا يتيح للمتلقي فهم النّص، ويمدّه بالمفاتيح التأويلية اللازمة لتفكيك بنيته واستيعاب مقاصده . كما نجده في :

*** عنوان سورة (ق) ومحتواها :**

لتحديد الدّلالة العامة لعنوان سورة (ق)، يحسنُ الرّجوع إلى المعاجم اللّغوية، إذ ورد في لسان العرب، مادة « قوف»، (ق) تدور حول معاني الأخذ الشديد والإمساك المحكم، كقولهم: « أخذت بقوف رقبته، وقاف رقبته، وصوف رقبته، معناه: أنّ يأخذ برقبته جمعاء، وقيل: يأخذ برقبته فيعصرها »[1]. أي: أخذته كلّه، ومجمل دلالة هذين المحددين اللّغويين هو القبض على الإنسان و الإمساك به ببالغ القوة، و بمنتهى الشّدة، حتى حدّ الاعتصار و الاحتواء الكُلّي، و من مكان لا يدع أي فرصة للانفلات أو التملص؛ إنه إمساك من القفا، بل من شعيرات القفا، فالقاف القوية الإيلام و البالغة الوخز حين الجذب. أخذ من مكان ينعدم معه الحراك، و ينتفي معه كل شكل من أشكال الاسترخاء و التسيب الحركي. إذن: فما وجه العلاقة بين دلالة العنوان هذه؟ و بين المقصد العام في كلّ تجليات السورة ؟

فبقراءة مضمون السّورة تتشكّل من حوالينا صورة شديدة الوقع، بالغة الإيقاع، محورها الإنسان، وقد شُدَّ من تلابيبه شدًّا قويًّا من لدن من هو أشدُّ و أعزّ . تراه قد تعقبته الرقابة الإلاهية تعقبًا شديدًا في مستقرّه ومسعاه، وهجعته، ويقظته، ويومهوليلته؛ مراقب رقابة شاملة من الوضع إلى النزع و يوم البعث، يقول

---

[3] فتح القدير : 84/5.
[4] معالم التنزيل: 270/4.
[1] ينظر: لسانيات النص ، 59.
[2] نفسه : 293.
[1] لسان العرب : 293/9.

سبحانه :﴿ **قَدْ عَلِمْنا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنا كِتابٌ حَفِيظٌ﴾ [ق:4]** وقال: ﴿ **مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:18]** . والآن، أليست دلالة مضمون السورة هي دلالة عنوانها نفسه دون أدنى اختلاف أو تمايز؟. أ ليس هذا منتهى التناسق والتناظم،والتناغم بين النّص وعنوانه بشكل ترى فيه الواحد من خلال الآخر، بل بشكل تقر معه بـأنّ الاثنين ليسا سوى جوهر فرد يأبى التجزيئ .

ثانيًا: المناسبة

يقول الزّركشي: « واعلم أنّ المناسبة علم شريف تحزر به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول. والمناسبة في اللّغة المقاربة وفلان يناسب فلانًا، أي: يقرب منه ويشاكله، ومنه النسيب الذى هو القريب المتصل كالأخوين وابن العم ونحوه، وإن كانا متناسبين بمعنى رابط بينهما، وهو القرابة »[1]. ويرى الفخر الرّازي أنّ أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط [2]. وهو ما يظهر بصورة منها :

1ـ مناسبة افتتاح السّورة بموضوعها :

بدأت سورة (ق) بقوله تعالى: (ق)؛ لهذا سُمّيت بسورةِ (ق)، والقاف حرفٌ قويٌّ من حروف الاستعلاء، ثمّ يأتي بعد هذا الحرف قوله تعالى: (وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ) [ق:1] فالله سبحانه بدايةً يقول قافاً، ثمّ يُتبِعها بالقسم بالقرآن المجيد، وقسمه سبحانه بشيءٍ يدلّ على عظمة هذا الشّيء، وعظَمَة سُوَره وآياته، ووجوب احترامها وتَبجيلها، والعناية بها دراسةً، وفهماً، وتدبُّراً، وحفظاً، وتطبيقاً[3].

وافتتحت هذه السّورة بالقسم ؛ لأنّها تعالج موضوعات عظيمة فمن الموضوعات التي تتناولها البعث؛ فالعرب يَعجَبون أنّ النبيّ _ ﷺ _ جاء منهم؛ ليُنذرهم، ويُعلِمهم بحقيقة البعث بعد الموت [4].

2ـ التناسب بين بداية السورة ونهايتها :

ترتبطُ سوَرُ القُرآنِ الكريمِ فيما بينها، إذ يجمعها رابطٌ تتناسبُ فيهِ مِنْ حيث الموضوعِ، كما ترتبطُ آيات السّورة نفسها من حيث بدايةُ السّورةِ ونِهايتها. فبدايةُ السورة (ق) قَسَمٌ مِنَ اللهِ سُبحانهِ بحرفِ (ق)، وهو أحدُ حُروفِ العربيَّةِ، والقُرآنُ الكريمُ نَزَلَ باللُّغةِ العربيَّةِ، وتحدّى اللهُ العربَ الذينَ نزلَ القُرآنُ الكريمُ بلُغتِهم أن يأتوا بِمثلِ هذا القُرآن، فعجِزوا، مع أنَّهُ نَزَلَ بحُروفِ العربيَّة التي بَرعوا فيها، فتبدأُ السُّورةُ بقَسَمِه سُبحانهُ بالقُرآنِ المجيدِ، وتستأنفُ الكلامَ عن استغرابِ العربِ واستهجانهم أن يأتي الرَّسولُ منهم، ثمَّ بيان مجموعةٍ مِنْ أقوالِهم وافتراءاتِهم، ومنها إنكارُهم البعثَ، ثمَّ تأتي نهايةُ السُّورةِ بالأمرِ الرَّبانيّ للنَّبيَّ مُحمّد _ ﷺ _ بالصَّبرِ على أقوالِهم وافتراءاتِهم، والتَّفرُّغ للتَّسبيح والعِبادةِ والدعوةِ بالتّذكيرِ والإنذارِ لمن يخافُ يوم الوعيدَ [1] .

الخاتمة وأهم النتائج :

في نهاية هذا البحث ليس لي إلّا أنْ أسطّر أبرز ما توصلتُ إليه من نتائج :

1_ تبيّن للباحث أنّ سورة (ق) تتمتع بدرجة عالية من التماسك، إذ جاء عنوانها متآلفًا مع مفتتحها، فعنوانها (ق) وابتداؤها (ق). بما يعزّز وحدة النّص وانسجام مكوّناته .

2_ مثلت الإحالة التماسك الأكبر في السورة ، ولاسيما إحالة الضمائر .

3_ توصّل البحث إلى أنّ الإحالة قد تشير للاحق ، وهذا خلاف الأصل المعهود في النظام النّحوي، إذ تشير إلى سابق . وتبيّن أنّ هذا العدول في إشارة الضمير إلى لاحق لإفادة العموم، نقول: هم متميزون، إذ يشمل الواو أيَّ متميّز على نحو ما جاء في قوله : بل عجبوا ، إذ يحتمل جميع الناس مؤمنهم وكافرهم؛ لأنّ كلّ مفطورٍ عجب من بعثة بشر رسولًا، ويرشد عودة الضمير إلى الكفّار قوله : ﴿ **فقال الكافرون**﴾ .

---

[1] البرهان في علوم القرآن، بتصرّف : 35/1.

[2] التفسير الكبير : 110/10.

[3] ينظر: إعجاز القرآن، 68، لأبي بكر الباقلاني .

[4] ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، 5/ 139.

[1] ينظر: فتح القدير ، 5/ 86 ــ 98.

4_ تبيّن في البحث أنّ للسياق دورًا رياديًّا في تحديد مرجع الإحالة ، وإثبات التماسك النّصي سواء أكانت خارج النّص أو داخله كتعيين المحذوف أو تحديد مرجع الضميرأو مرجع الإشارة .
5_ بيّنتْ الدِّراسَة أنَّ تنوع مراجع الإحالة _ بين المتكلم (مؤلف النّص)، والمخاطَب (المتلقي)، والرّسالة (مضمون الخِطاب) _ يُسهم في توافر مقومات النّص كافة، بما يؤكد تكامل النّص وتماسكه على مستوياته المختلفة .

6_ توصّل البحث إلى أنّ الإحالة بالإشارة " هذا " قد تحتمل الإشارة إلى البعيد بشرط أنْ يراد بها الإنكار والاستبعاد، وهو ما يستدلّ عليه من خلال السّياق .
7_ أظهرت السّورة تنوعًا في وسائل التماسك، إذ شمل التماسك المعنوي (الحُبك)، والتماسك اللفظي (السَّبك)، بما يعكس ثراء البنية النّصيّة وتكاملها.
8_ كشفت الدّراسة أنّ للسورة سببَ نزولٍ، وأنّ العَلاقة بين السّبب والمُسبب تمثل شكلًا من أشكال الترابط، ويعني ذلك امتداد التماسك إلى ما هو خارج النّص، فضلًا عن داخله.
9_ مثل الوصف وسيلة بارزة من وسائل التماسك الموجودة في السورة حتى أنّه في كثير من الأحيان يتوقف المعنى عليه، نحو قوله تعالى: ﴿ **فقال الكافرونَ هذا شيء عجيب** ﴾ [ق :2]، إذ يصح المعنى الأساسي _ هنا _ بغير النعت كما في القول: (لا خيرَ في شيءٍ ضَارٍ)، إذ لا يصحّ القول لا خير في شيء من دون ذكر الصفة ضار .

ثبت المصادر والمراجع :

- **القرآن الكريم**

1ـ الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1394هـ/1974م.
2ـ الإحالة في نحو النص، أحمد عفيفي، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، د.ت.
3ـ أصول تحليل الخطاب، محمد الشاوش، دار الطليعة، بيروت، د.ت.
4ـ إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت: 403هـ)، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط5، 1997م.
4ـ إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن إسماعيل النحاس (ت: 338هـ)، تح: زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، 1409هـ/1988م.
5ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (ت: 685هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
6ـ البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت: 794هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1376هـ/1957م.
7ـ بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، ط1، 1996م.
8ـ التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور (ت: 1393هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.
9ـ تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري (ت: 370هـ)، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
10ـ شرح المفصل، يعيش بن علي بن يعيش (ت: 643هـ)، تقديم: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
11ـ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت: 393هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407هـ/1987م.
12ـ صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني، القاهرة، ط1، 1417هـ/1997م.
13ـ علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق على السور المكية، (صبحي إبرهيم الفقي)، دار قباء ، 2000م.
14ـ علم لغة النص والأسلوب، صبحي الفقهي، القاهرة، ط1، 2000م.

15- فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني (ت: 1250هـ)، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، دمشق/بيروت، ط1، 1414هـ.

16- قرائن اللائقية وأثرها في السياق: نحو نظرية عربية للإحالة الضميرية، (ميلود نزار) ، الجزائر ، 2009م.

17- لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1418هـ.

18- اللمع في العربية، عثمان بن جني (ت: 392هـ)، تح: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت، د.ت.

19- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ت: 395هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ/1979م.

20- نحو أجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية(سعد مصلوح) .

21- النحو التطبيقي، محمد الدية، دار الفكر، دمشق، د.ت.

22- نسيج النص: بحث في ما يكون به الملفوظ، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1993م.

23- نسيج النص(لسانيات النص)، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، بيروت، د.ت.

24- النص والخطاب: الإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998م.

25ـ **نحو النص**، أحمد عفيفي، مكتبة زهراء، العراق، 2001م.